الدخيل

للكاتب العبقري موريس مارلنك

بقلم محمد أمين

الأشخاص :

الجد (مكفوف البصر)
الأب
البنات الثلاث
العم
الخادم

حجرة كئيبة فى قصر ريفى قديم . باب عن يمين ، وباب عن يسار ، وفى ركن من الأركان باب صغير . من خلف نوافذ من زجاج ملون يغلب فيها الخضرة ، وباب زجاجى يؤدى إلى مشرف . فى إحدى الزوايا ساعة كبيرة هولاندية . مصباح يشتعل

البنات الثلاث — أقبل يا جدّى . اجلس تحت المصباح

الجد — كأنما الضوء هنا ليس بموفور

الأب — أنخرج إلى المشرف أم نبقى بهذه الحجرة ؟

العم — أليس من حسن الرأى أن نبقى هنا ؟ لقد اتصل المطر الأسبوع كله ، فالليالى رطبة باردة

الابنة الكبرى — ولكن النجوم ساطعة

العم — النجوم ؟ ليست هذه شيئا

الجد — أرى البقاء هنا أولى ، فما يدرى أحد ماذا يحدث

الأب — لم يعد شىء يثير الجزع . فالخطر قد زال وقد نجت

الجد — فى اعتقادى أنها لم تصبح بعدُ

الأب — لم هذا القول ؟

الجد — تممت صوتها

الأب — ولكن ما دام يعدنا الأطباء خيراً فلنسكّن روعنا

العم — ألا إنّ حماك ليستهويه إزعاج أنفسنا بغير موجب

الجد — إنى لا أرى الأشياء كما ترونها

العم — اعتمد علينا إذن نحن أولى الأبصار . لقد بدت أحسن ما تكون عصر اليوم ؛ وإنها لناعمة قريرة الجفن ، فما لنا نكدر أول مساء هنىّ صفت لنا فيه الحياة !؟ إنما حق لنا هذا المساء كل الحق أن نطمئن ؛ بل ونضحك يسيراً ولا خوف

الأب — حقاً . فانى آنس إلى أسرتى أول مرة ، منذ كان هذا النفاس المروع

العم — إذا دخل المرض يوماً إلى البيت فكأنما اندس فيه غريب

الأب — وأنت تعلم كذلك أن لا اعتماد على غريب

العم — أجل

الجد — لم حُرمت اليوم رؤية ابنتى ؟

العم — ليس يغيب عنك ولا ريب أن الطبيب قد منع رؤيتها

الجد — لا أدري بماذا أفكر ...

العم — إن الجزع لن يجدى عنك فتيلا

الجد (يشير إلى الباب عن يمين) — ألا يحتمل أن تسمعنا ؟

الأب — لن تتحدث بصوت مرتفع ، والباب فوق ذلك سميك . وهناك الممرضة (أخت الرحمة) وإنها لكفيلة بتنبيهنا لو أثرنا ضجة عالية

الجد (يشير إلى الباب عن يسار) — ألا يحتمل أن يسمعنا ؟

الأب — كلا ، كلا

الجد — أهو نائم ؟

الأب — هكذا أظنّ

الجدّ — من الخير أن يذهب أحد غيري

العم — إن الوليد يثير إشفاقي أكثر مما تثيره زوجك . لقد مضت الأسابيع منذ ولد ولا يكاد يتحرك ! وما صاح صيحة واحدة في هذه المدة ! ألا إنه أيشبه الدمية من الشمع

الجد — أحسب أن سيكون أصمّ — وقد يكون أبكم أيضاً — وتلك عاقبة الزواج بين أبناء العم ... (صمت استياء)

الأب — لكأنى أريد له الشرّ ؛ فقد سام أمه سوء العذاب

العم — تعقل ، فليس الذنب للكائن الشقيّ الضاوى . أو تراه في الحجرة وحده ؟

الأب — نعم . فالطبيب يمنع أن يكون هو والأمّ في حجرة

العم — ولكن المرضع معه ؟

الأب — لا ، بل ذهبت تستريح ، لشدّما جهدت هذه الأيام الأواخر . أرسولا ، اذهبي فانظرى أهو نائم

الابنة الكبرى — سمعاً يا أبت (تنهض البنات الثلاث ، ويقصدن إلى الحجرة عن يمين ، يداً في يد)

الأب — متى تقبل أختنا ؟

العم — أحسبها تقبل في نحو التاسعة

الأب — لقد مضت التاسعة . ليتها تقبل هذا المساء فزوجي تهفو إلى رؤيتها

العم — هي لاشكّ آتية . وستكون زيارتها هذه أول عهدها بهذا المكان

الأب — إنها لم تشهد البيت قط

العم — عسير عليها أن تبرح الدير

الأب — أتكون وحدها ؟

العم — أغلب الظنّ أن تصحبها راهبة فليس يؤذن لمن في الخروج منفردات

الأب — لكنها الرئيسة

العم — الخطر واحد على الجميع

الجد — ألا تشعرون بانزعاج ؟

العم — ولم نشعر بانزعاج ؟ وأى خير في ترديد هذا القول ؟ ألا إنه لم يعد أمر نخشاه ...

الجد — أختك أسنّ منك ؟

العم — هي أكبرنا سنّا

الجد — لا أدرى ماذا يؤلمني ؛ إني لأشعر باضطراب ، تمنيت لو أن أختك أقبلت !

العم — ستقبل ؛ إنها وعدت بالمجيء

الجد — آه ، لو انتهى هذا المساء !

(تعود البنات الثلاث)

الأب — أهو نائم ؟

الابنة الكبرى — أجل ، يا أبت . إنه مستغرق في النوم

العم — بم نستعين على انتظارنا ؟

الجد — انتظار أى شيء ؟

العم — انتظار أختنا

الأب — أرسولا ، ألا ترين شيئاً مقبلا ؟

الابنة الكبرى (لدى النافذة) — لاشيء يا أبت

الأب — ولا في الشارع ؟ أتبصرين الشارع ؟

الابنة الكبرى — أجل يا أبت ، فضوء القمر

يسطع ، وإنى لأرى الشارع إلى مدى غابة السرو

الجدّ — ولا ترين أحداً ؟

الابنة الكبرى — لا يا جدّى ، لا أحد

العم — كيف ترين الليلة ؟

الابنة الكبرى — جدّ فاتنة ، أتسمع البلابل ؟

العمّ — أجل ، أجل

الابنة الكبرى — إن ريحاً واهنة تهبّ على الشارع

الجدّ — ريح واهنة على الشارع ؟

الابنة الكبرى — أجل ؛ فالأشجار تهتز هوناً

العمّ — أعجب لأختى ، كيف لم تأت بعد !

الجدّ — ما عدت أسمع البلابل

الابنة الكبرى — إخال أحداً يا جدّى قد دلف إلى الحديقة

الجدّ — من ؟

الابنة الكبرى — لا أدرى ، لست أرى أحداً

العم — إذن لا أحد

الابنة الكبرى — إنّ أحداً فى الحديقة لاصراء ؛ فالبلابل أمسكت عن شدوها فجأة

الجدّ — ولكن لا أسمع أحداً يقبل

الابنة — إن أحداً يمر على البركة لا شك ؛ فالوزّ قد اضطرب

ابنة أخرى — كل الأسماك فى البركة تغطس فجأة

الأب — ألا ترين أحداً ؟

الابنة الكبرى — لا يا أبت ، لا أحد

الأب — ولكن البركة فى ضوء القمر

الابنة الكبرى — أجل ؛ وإنى لأرى الإوزّ مهتاجة

العم — لا أرتاب فى أنها أختى التى راعتها .

وإنها لا بد قد دخلت من الباب الصغير

الأب — لا أدرى لم لا تنبح الكلاب ؟

الابنة — إنى لأرى الكلب خلف مأواه ، وها هى ذى الإوز تعبر إلى الضفة الأخرى !

العم — إنها لشفقة من أختى ! إنى ذاهب أستطلع . (يهتف) أختى . أختى ! أنت هنا ؟ ... ما من أحد

الابنة — إنى على ثقة بأن أحداً ولج الحديقة ؛ ولسوف ترى

العم — ولكنها كانت تجيبنى !

الجد — أما عادت البلابل تصدح ، يا أرسولا ؟

الابنة — لا أسمع منها صادحاً فى مكان

الجد — ولكن لا ضجّة

الابنة — ثم صمت مثل صمت الرمس

الجد — إن من روعها غريب لا شك ، فلو أنه من الأسرة لما كفت عن سجعها

العم — إلى متى تبحث عن رعناء البلابل ؟

الجد — أكل النوافذ مفتوحة يا أرسولا ؟

الابنة — إن الباب الزجاج مفتوح يا جدى

الجد — لكأن البرد ينفذ إلى الحجرة

الابنة — فى الحديقة يا جدى ريح واهنة ، والورود منتثرة أورافها

الأب — خير . أوصدى الباب ، فالليل تقدم

الابنة — سمعاً يا أبت . . . . لا أستطيع إيصاد الباب

الجد — له ؟ ما للباب يا ولدى ؟

العم — ليس ما يدعو لهتافك على هذا النحو الغريب . إنى ذاهب أشد أزرهن

الابنة الكبرى — لا يتهيأ لنا أن نحكم إيصاده

العم — ذلك أثر الندى . فلندفعنّه جميعاً ...
لا بد أن شيئاً يعترضه
الأب — فى غد يصلحه النجار
الجد — أيأتى النجار فى غد ؟
الابنة — نعم يا جدى . إنه آت ليؤدى فى القبو بعض الأعمال
الجد — إنه باعث فى البيت ضجة
الابنة — سأسأله الرفق فى عمله . (يسمع فجأة من الخارج صوت منجل يشحذ)
الجد (راجفاً) — واها !
العم — ما هذا ؟
الابنة — لا أدرى على الحقيقة ، وإنما أحسبه البستانى . لست أراه فى وضوح ، فإنه لفى ظل البيت
الأب — إنه البستانى ذاهباً يحصد
العم — أيحصد فى الليل ؟
الأب — أليس غدا الأحد ؟ أجل ، وقد تبين لى أن الكلأ فيما حول الدار جد طويل
الجد — إن منجله باعث للضجة ...
الابنة — إنه يشحذ قريباً من الدار
الجد — أتنظرينه يا أرسولا ؟
الابنة — لا يا جدى ؟ إنه لقائم فى الظلام
الجد — أخشى أن يوقظ ابنتى
العم — إنا لا نكاد نسمعه
الجد — كأنه يشحذ فى البيت
العم — لن تسمعه المريضة ؛ فليس ثمة ضير
الأب — لا أرى المصباح يشتعل هذا المساء اشتعالاً حسناً
العم — يعوزه أن يملأ
الأب — لقد رأيته يملأ فى هذا الصباح . إن اشتعاله قد ساء منذ غلّقت النافذة
العم — لعل الداخنة متسخة
الأب — سيشتعل أحسن مما كان فورا
الابنة — جدي أخذته سنة . إنه لم ينم سواد ليال ثلاث
الأب — لقد انزعج
العم — إنه منزعج أبداً . وإنه أحياناً لا يصيخ للعقل سمعاً
الأب — غُفِر هذا لمن كان فى سنه
العم — يعلم الله كيف نكون فى سنه
الأب — إنه قريب من الثمانين
العم — إذن حق له أن يبدو غريباً
الأب — إنه كسائر المكفوفين
العم — ما أكثر ما يطيلون الفكر !
الأب — إنهم ليجدون من الوقت فسحة
العم — إذ لا شىء آخر يأتونه
الأب — وليس إلى ذلك ما يشغلهم
العم — ذلك لا ريب هو أشد البلاء
الأب — إن المرء ليألفه فيما يظهر
العم — لا أحسب
الأب — إنهم لا شك يستحقون الرثاء
العم — ما أفظع ألا يعرف الإنسان أين يكون ولا من أين جاء ، ولا إلى أين يذهب ؛ وألا يستطيع تمييز الضحى من الليل والشتاء من الصيف ؛ ظلام على ظلام ! بلى إنى أوثر الموت عليه ، فإنه الداء العضال
الأب — فى الظاهر
العم — ولكن لم يُكتَفّ بصره أجمع
الأب — ليس يلمح إلا ساطع النور

العم — فلنعن إذن بنواظرنا الضعيفة

الأب — عجيبة خواطره على الأغلب

العم — وهو فى بعض الأحيان أبعد ما يكون عن الظرف

الأب — إنه ليعلن كل ما هجس فى خاطره

العم — ألم يكن ذلك دأبه ؟

الأب — كلا ، إنه حيناً من الأحيان كان مثلنا عاقلاً ، ولم يكن يلفظ من القول غريباً ، وأخشى أن تكون أرسولا تحدوه إلى ذلك ، فهي تجيبه عن كل ما يسأل

العم — الخير ألا يمار قوله التفاتاً . إنها الشفقة تخرجه عن محجة الصواب

(تدق الساعة عشراً)

الجد (صاحياً) — ترى ! أوجهى شطر الباب الزجاج ؟

الابنة — لقد نمت يا جدّى نوماً حسناً

الجدّ — تري! أوجهي شطر الباب الزجاج ؟

الابنة — نعم يا جدى

الجد — أليس أحد لدى الباب ؟

الابنة — لا يا جدى ، لا أرى أحداً

الجد — حسبت أحداً ينتظر . أو لم يقبل أحد؟

الابنة — لا يا جدى ، لا أحد

الجد (للعم والأب) — وأختكما؟ ألم تقبل؟

العم — إن الليل تقدم ، فلن تأتي . ألا إنها قد أساءت فعلاً

الأب — لقد أصبحت الآن مشغلتى الشاغلة

(ضجة ، كأن أحداً يدخل البيت)

العم — إنها هنا ! أتسمعون ؟

الأب — أجل لقد ولج الطابق الأسفل أحدما

العم — هى لا شك أختنا ، لقد ميزت خطوها

الجد — سمعت خطى وئيدة

الأب — لقد دخلت فى رفق

العم — إنها لتعلم أن ثمة مريضة

الجد — لا أسمع الآن شيئاً

العم — إنها صاعدة رأساً فسيخبرونها بموضعنا

الأب — لقد سرنى مجيئها

العم — لم تداخلنى الشبهة فى أنها مقبلة

الجد — لقد طال صعودها

العم — إنها لا ريب هى !

الأب — لسنا نتوقع زائراً غيرها

الجد — لا أسمع فى الطابق الأسفل صوتاً

الأب — سأدعو الخادم فنحيط بكل شىء علماً

(يشد حبل الجرس)

الجد — أسمع صوتاً على الدرج

الأب — إنها الخادم صاعدة

الجد — لكأنها ليست بمفردها

الأب — إنها صاعدة رويداً ...

الجد — أسمع وطء أختكما !

الأب — لا أسمع غير الخادم

الجد — بل هى أختك ، إنها أختك .

(ثم طرق الباب)

العم — إنها تطرق باب السلم من خلف

الأب — إني ذاهب أفتحه (يفتح الباب الصغير بعض الشىء ، وتظل الخادم خلفه) أين أنت ؟

الخادم — ها أنا ذى يا سيدى

الجد — أختك لدي الباب ؟

العم — لا أرى سوى الخادم

الأب — ليس إلا الخادم . (للخادم) من ذا دخل البيت ؟

الخادم — دخل البيت ؟

الأب — أجل ؛ لقد دخل الآن أحد ما

الخادم — لم يدخل أحد يا سيدى

الجد — من ذا الذي تنهد هذا التنهد ؟

العم — هى الخادم ؛ إنها مبهورة النفس

الجد — أهى تبكى ؟

العم — لا ، ولم تبكى ؟

الأب (للخادم) — ألم يدخل الآن أحد ؟

الخادم — لا يا سيدى

الأب — ولكن سمعنا أحداً يفتح الباب :

الخادم — لا يا سيدى

الأب — ولكن سمعنا أحداً يفتح الباب !

الخادم — كنت أنا أغلق الباب ...

الأب — أكان مفتوحاً ؟

الخادم — أجل ياسيدى

الأب — ولمْ كان مفتوحاً هذه الساعة من الليل ؟

الخادم — لا أدرى يا سيدى . والحق أنى غلقته بنفسى

الأب — إذن من فتحه ؟

الخادم — لا أدرى يا سيدى . ولعل أحداً يا سيدى قد خرج من بعدى ...

الأب — حاذرى . لا تدفعى الباب ، فأنت تعلمين كم يثير من ضجة

الخادم — ولكنى يا سيدى ما لمست الباب

الأب — بل تدفعينه ؛ وتدفعينه كما لو أردت دخول الحجرة

الخادم — ولكني يا سيدى أبعد كثيراً من الباب ...

الأب — لا يعل هكذا صوتك ...

الجد — أيطفئون النور ؟

الابنة الكبرى — لا يا جدى

الجد — لكأن حلكة الظلام قد انتشرت ، على حين بغتة

الأب (للخادم) — فلتنزلى الآن ، ولكن لا تبعثى على الدرج ضوضاء عالية

الخادم — إنى لا أبعث على الدرج أدنى الصوت

الأب — بل أقول إنك بعثت الضجة عالية ؛ فانزلى فى هدوء حتى لا تصحو مولاتك . وإذا أقبل الآن أحد فقولى لسنا هنا

الجد (واجفا) — لا تقولى هذا القول !

الأب — .. إلا أن تكون أختى ، أو يكون الطبيب

العم — متى يجىء الطبيب ؟

الأب — لن يستطيع المجىء قبل انتصاف الليل

(يوصد الباب ، وتسمع ساعة تدق الحادية عشرة)

الجد — دخلت ؟

الأب — من ؟

الجد — الخادم

الأب — كلا ، بل لقد نزلت

الجد — حسبتها جالسة إلى الخوان

العم — الخادم ؟

الجد — أجل

العم — كانت تكمل بهذا سعادتنا !

الجد — ألم يدخل الحجرة أحد ؟

الأب — لا ، لم يدخل أحد

الجد — وليست هنا أختك ؟

العم — أختنا لم تأت

الجد — تريدون خداعى

العم — خداعك ؟

الجد — يا أرسولا : خبرينى الحق نشدتك الله

الابنة الكبرى — جدى ! جدى ! مابالك ؟

الجد — إن أمراً قد حدث . أيقنت أن ابنتى ساءت حالاً

العم — أتحلم ؟

الجدّ — بل تخفون عنى الحقّ ، فان أمراً قد حدث ، ما فى ذلك ريب

العم — أما هذا فأنت أبصر به منا !

الجد — يا أرسولا ، أصدقينى !

الابنة — ولكنى صدقتك يا جدى !

الجد — لست ناطقة بصوتك المعهود

العم — لأنك ترعبها

الجد — وصوتك أيضاً تغير

الأب — لقد أصابك الخبل ! (يتبادل الايماء والعم بأن الجد قد مسه الجنون)

الجد — أسمعكم حق السمع ، خائفين

العم — ولكن م نخاف ؟

الجد — لم تريدون خداعى ؟

العم — من يفكر فى خداعك ؟

الجد — لم أطفأتم النور ؟

العم — ولكن النور لم يطفأ ، ولم يزل موفور الضوء مثلما كان

الابنة — كأنّ المصباح قد خمد

الأب — ولكن عينىّ كما كانتا من قبل تنظران

الجد — على عينىّ أحجار الرحى ! فخبرن ياصبايا ماذا يجرى هنا ! خبّرن بالله يا من تبصرن ! ألا إنى وحدى فى ظلام ما إن له من نهاية ، فلا أدرى من ذا يجلس بجانبى ، ولا أدرى ماذا يحدث حولى غير بعيد ! ... ... ولم يا ترى تتهامسون ؟

الأب — ما كان أحد يهمس

الجد — لقد تكلمت لدى الباب همساً

الأب — لقد سمعت كل حديثى

— الجد — لقد أدخلت أحداً إلى الحجرة !

الأب — ولكنى أنبئك أنه لم يدخل أحد

الجد — أهى أختك أم راهب . لا يحسن بك أن تخدعنى . من دخل ، يا أرسولا ؟

الابنة الكبرى — لا أحد يا جدي

الجد — لا ينبغى لك أن تخادعينى ، فانى لأعلم ما أعلم . كم نحن هنا ؟

الابنة — ستة يا جدى ، حول المائدة

الجد — أكلكم حول المائدة ؟

الابنة — نعم يا جدى

الجد — أنت هنا يا بول ؟

الأب — نعم

الجد — أنت هنا يا أوليفر ؟

العم — أجل ، (بالطبع) إنى هنا فى مكانى المعهود . وليس ذلك مدعاة للروع أتراه قد روعك؟

الجد — أنت هنا يا جنفياف ؟

إحدى البنات — نعم يا جدى

الجد — أنت هنا يا جرترود ؟

ابنة أخرى — نعم يا جدى

الجد — أنت هنا يا أرسولا ؟

الابنة الكبرى — نعم يا جدى ، إلى جانبك

الجد — ومن الجالس هنا ؟

الابنة الكبرى — أين تعنى يا جدى ؟

الجد — هنا ، هنا ، إلى الحوان

الابنة الكبرى — ولكن يا جدى لا أحد

الجد — بل ثمة أحد ، ثمة أحد !

العم — أراك تمزح

الجد — ألا فلتعلم حق العلم أنى لزاهد فى المزاح

العم — إذن فصدق المبصرين

الجد (مرتاباً) — حسبت أن ثم أحد. فى رأيى أن لن أعيش طويلا ...

العم — لم نخدعك ؟ أى نفع فى خداعك ؟

الأب — فرض علينا أن نفضى إليك بالحق

العم — أى خير فى أن يخادع بعضنا بعضاً ؟

الأب — إن المرء لا تطول خدعته

الجد (يحاول النهوض) — تمنيت لو أمزق من حولى حجب الظلام !

الأب — أين تقصد ؟

الجد — هناك ...

الأب — لا تجزع إلى هذا الحد

العم — ألا إنك لغريب هذه الليلة

الجد — إنما أنتم الأغراب تبدون

الأب — أتريد شيئاً ؟

الجد — لا أدرى ما ذا يؤلمنى

الابنة الكبرى — جدى ! جدى ! ما ذا تريد يا جدى ؟

الجد — هاتن يا بناتى أيديكن الصغيرة !

البنات الثلاث — لبّيك يا جدى

الجد — لم ترعدن جميعاً ؟

الابنة الكبرى — إنا يا جدى لم نرتعد قط

الجد — أتخلن جميعاً شاحبات

الابنة الكبرى — لقد تأخر المساء يا جدي وإنا لمتعبات

الأب — نخير لكن أن تذهبن إلى المضاجع وخير لجدكن لو استراح شيئاً

الجد — الليلة عز رقادى !

العم — سننتظر الطبيب

الجد — فتهيأوا للحق !

العم — ليس هنالك حق !

الجد — إذن فلا أدرى ما هنالك !

العم — قلت لك ما من شىء قط

الجد — وددت لو أرى ابنتى التاعسة

الأب — تعلم أنك تروم عسيراً

العم — ستراها من غد

الجد — لا صوت فى حجرتها

العم — لو سمعت صوتاً لأشفقت

الجد — لقد طال عهدى برؤية ابنتى ! ... لقد تناولت يدها ليلة أمس ، بيد أنى لم أرها ! ... فما أعلم ماذا حل بها ... وما أعلم كيف هى ... وما أعلم كيف يبدو الآن وجهها — ولكن لا شك أنها تغيرت هذه الأسابيع ! فقد لمست عظام وجنتيها الصغار تحت يدى . ولا غير الظلام بينها وبينكم أجمعين وبينى ! . ولعمر الحق أنى سئمت هذه الحياة وضقت بها ذرعاً ! بل ما هذه بالحياة ، فانكم لتجلسون جميعاً فتشخصون بأعين منيرة إلى عينىّ المكفوفتين ثم لا تأخذكم بى الرحمة ! ، أما أنا فلا تدرى نفسى ما ذا يؤلمنى ، ولا أحد ينبئنى بما أعلم علمه — وكل شىء مروع ما علقت به أوهام الانسان ولكن ما بالكم لا تلفظون ؟

العم — وماعسى أن نقول ما دمت لا تؤمن لنا؟

الجد — إنكم لتخشون مخادعة أنفسكم !

الأب — مهلاً ، ألا ترشد !

الجد — إنكم تسرون عنى أمراً منذ بعيد ... ! لقد وقع فى البيت حدث ... ولقد بدأت اليوم أفهم بعد أن طالت خدعتى ... ! أو تحسبون أنى لا أعلم قط شيئاً ؟ ألا يا رُب لحظات عدت فيها أقل منكم عمى ؟ أو تحسبون أنى ما سمعتكم تتهامسون أياماً وأياماً ، وكأنما ضمكم بيت إنسان مغلق ؟ ألا يارُب حق علمته ولا أجرؤ اليوم على الافضاء به ... ولكنى

سأنتظر ، وسأنتظر حتى تبوحوا بما قد علمته منذ أمد طويل ! والآن فإنى أتمثلكم شاحبين كالموتى ، أو أشد اصفراراً

البنات الثلاث — جدى ! جدى ! ما بالك يا جدى ؟

الجد — ليس عنكن أتكلم ياولدى . لا،ليس عنكن ، فما كنتن بالحق باخلات وإن ضنوا به ! بل إنهم ليمكرون بأنفسكن فى رأيي ... ... ولسوف تشهدن ياولدى ... لسوف تشهدن ! ... ألا أسمكم تبكون أجمعين

الأب — أزوجى إلى هذا الجد مريضة ؟

الجد — عبثاً تخادعنى . لقد فات الأوان فانى لأعلم من جلية الأمر فوق الذى تعلمون

العم — ولكن لسنا مكفوفى البصر ؛ لسنا مكفوفين

الأب — أتحب أن ترى ابنتك ؟ فانه لا بد من حسم هذا الشك ... أتحب ؟

الجد (يعود فجأة إلى الشك) — لا ، لا ، ليس بعد . ليس بعد

العم — فانظر كيف لا تلقى السمع إلى العقل

الجد — هيهات أن يقدر امرؤ مدى إدراك الانسان فى هذه الحياة ... مَن أثار هذه الضجة ؟

الابنة الكبرى — إنه المصباح يرف يا جدى

الجد — إنى لأراه كثير التقلب ، كثير التقلب

الابنة — إنها الريح الباردة ؛ فهى تعابثه

العم — ليس ثمة ريح باردة ، فالنوافذ موصدة

الابنة — أحسبه سينطفئ

الأب — لم يعد فيه من زيت

الابنة — لقد انطفأ

الأب — لا نستطيع البقاء على هذه الحالة ، فى الظلام

العم — ما يمنع ؟ إنى لآلفه كل الايلاف

الأب — ثم ضوء فى حجرة زوجى

العم — سنأخذه منها بعد ذهاب الطبيب

الأب — خير ؛ لانزال نبصر ؛ فثمّ ضوء من الخارج .

الجدّ — أفى الخارج نور؟

الأب — أضوأ من هنا .

العمّ — أما أنا فأحبّ سامر الظلام .

الأب — وكذلك أنا . (صمت)

الجدّ — يبدو لى أن الساعة عالٍ صوتها .

الابنة الكبرى — ذلك ياجدى لما لذنا به من الصمت

الجد — ولكن لم يشملكم الصمت جميعا ؟

العم — وفيم تريد أن نتحدث ؟ — ألا إنك هذه الليلة جد غريب .

الجد — أترى الظلام فى هذه الحجرة جد حالك

العم — لا ، نور وضيء .

الجد — إنى ضيق الصدر ، ياأرسولا ، فافتحى النافذة قليلا .

الأب — أجل ياابنتى ، افتحى النافذة قليلا ، فأنا الآخر أشعر بحاجتى للهواء . (تفتح الابنة النافذة)

العم — لقد احتبسنا طويلا ، فيما أرى .

الجد — هل فتحت النافذة ؟

الابنة — نعم ياجدى ؛ إنها مفتوحة على مصراعيها .

الجد — لكأنها لم تفتح ، فلا صوت فى الخارج .

الابنة — لا ياجدى ، ليس أدنى صوت .

الأب — إن الصمت لعجب !

الابنة — كاد يسمع المرء حفيف الملاك !

العم — ومن أجل ذلك لا أحب الريف .

الجد — وددت لو أسمع صوتا . كم الساعة يا أرسولا ؟ .

الابنة — سيكون منتصف الليل وشيكا ياجدى

(هنا لك يغدو العم فى الحجرة ويروح .)

الجد — من ذا يمشى حولنا هكذا ؟

العم — ليس غيرى ! فلا تخف ! لقد أحببت المشى قليلا (صمت) — ولكنى سأجلس ؛ فلست أري ممشاى . (صمت)

الجد — وددت لو أزايل هذا المكان !

الابنة — إلى أين تقصد ياجدى ؟

الجد — لا أدرى إلى أين — إلى حجرة أخري ؛ لا أبالى أين ! لا أبالى أين !

الأب — أين تذهب ؟

العم — إن الوقت جد متأخر ؛ فلا انتقال من هذا المكان . (صمت . يجلسون حول المائدة ، بلا حراك .)

الجد — ما هذا الذى أسمع يا أرسولا ؟

الابنة — لا شيء ياجدى ؛ إنها أوراق الشجرة منتثرة . أجل ، إنها أوراق الشجرة متناثرة على المشرف

الجد — اذهبى فاغلقى النافذة يا أرسولا .

الابنة — سمعاً ياجدى . (تغلق النافذة وتعود فتجلس .)

الجد — إنى لأنتفض من البرد (صمت تقبل الأخوات الثلاث إحداهن الأخرى) ما الذى أسمع ؟

الأب — هؤلاء الأخوات الثلاث ، يتهادين القُبَل

العم — أراهن الليلة جدّ شاحبات (صمت)

الجد — ماذا أسمع يا أرسولا ؟

الابنة — لا شيء يا جدى . إنما شبكت يدى (صمت)

الجد — وماذا ؟

الابنة — لا أدرى يا جدى ... لعل أختى راجفتان هوناً ما

الجد — إنى كذلك خائف يا ولدي . (هنالك ينفذ من خلل الزجاج الملون شعاع من القمر يلقى ومضات غريبة فى الحجرة . دقات ساعة تؤذن بانتصاف الليل ، ولدى الدقة الأخيرة ينبعث صوت جد مبهم ؛ وكأن أحداً يعجل بالنهوض)

الجد — (يرتعد من فرط الروع) من ذا الذى نهض ؟

العم — لم ينهض أحد !

الأب — إنى لم أنهض

البنات الثلاث — ولا أنا ـ ولا أنا ـ ولا أنا

الجد — لقد نهض أحد من على المائدة !

العم — أضيئوا المصباح !

(يسمع فجأة من غرفة الطفل عن يمين صيحات رعب وتتصل هذه الصيحات مع الروع الذى يزداد إلى نهاية المنظر)

الأب — اسمعوا الطفل !

العم — ما سبق له قط أن صاح !

الأب — فلنذهب نره !

العم — النور ! النور !

(فى هذه اللحظة يسمع فى الغرفة عن يسار خطى معجلة ثقيلة الوطء ، وبعدها صمت هو صمت الموت . يصغون فى رعب لا ينسون حتى يفتح وليد باب الغرفة ويشيع منها الضوء إلى الحجرة التى يجلسون فيها ؛ ثم تظهر لدى الباب أخت الرحمة فى كساها السود ، فتنحني راسمة علامة الصليب تتبعى الزوج . يدركون ، وبعد لحظة من الذهول والفزع يدخلون حجرة الموت ساكتين ، بينا العم ينحى جانب الباب ليفسح الطريق للبنات الثلاث . أما الشيخ وقد غودر وحده فينهض مهتاجاً ، ويتلمس الطريق حول المائدة ، وسط الظلام .)

الجد — أين تذهبون ؟ أين تذهبون ؟ لقد انفض من حولى الصبايا ، وليس من أحد !

(روما) محمد أمين